



استعطافاً للعرب والمسلمين... بحديث "الفتاح" المزيف

## استغلوا الأحاديث الضعيفة والمعتلة ترويجاً لدولتهم

استدلّ بنو عثمان بأحاديث نبوية في إضفاء القدسية الدينية على قيام دولتهم وحكم بلاد العرب، في توظيف سياسي وديني، لاستعطاف العرب والمسلمين وكسب ودّهم، بتبييض صفحاتهم السوداء جراء ما اقترفوه من جرائم تجاه العرب واحتلال أرضهم.

فالأحاديث التي يروج لها الأتراك العثمانيون إن لم يغلب عليها الضعف في أسانيدها، يؤولونها وفق أهوائهم، من ذلك الحديث الذي يُبشّر بأن فتناً يكون في آخر الزمان: "لَنْفُخَ الْقَسْطِ طِينَتَهُ، فَلَنْعَمَّ الْأَمِيرُ أَمِيرُهَا، وَلَنْعَمَّ الْجَيْشُ ذَلِكَ الْجَيْشُ". فهناك أمران يتعلقان بهذا الحديث:

### الأول:

حديث الاستبشار بفتح القسطنطينية أضعفه الراوي الغنوي.

أن سند الحديث فيه علتان: العلة الأولى أن الراوي الأعلى للحديث (عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَسْرِ بْنِ الْخَنْعَمِيِّ)، يُصَنَّفُ عند علماء الجرح والتعديل على أنه راوٍ مجهول، ولم ينقل عنه هذا الحديث إلا الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ الْمَعَاوِرِيُّ، وقد رواه الإمام أحمد في مسنده، وكذلك الحاكم في مسنده، وضعفه الألباني والأرنؤوط. لذلك يشار إلى أن هذه الزيادة بأنها ضعيفة لجهالة الراوي، أما العلة الثانية: فمن رواه ريد بن الحباب، وقد اختلف في اسمه واسم أبيه ونسبه، ولعل الاهتمام بالقسطنطينية وفتحها وتجهيز معاوية بن أبي سفيان أثناء خلافته جيشاً لفتحها ربما وضع من أجل يزيد بن معاوية الذي كان أميراً لذلك الجيش في غزو القسطنطينية.

### الثاني:

وعلى اعتبار صحة الحديث، فإن الأمير المقصود في هذا الحديث ليس محمد الفاتح ولا جيشه التركماني عندما فتح القسطنطينية سنة 1453، وذلك لأسباب عدة:

1. ورد الحديث في سياقات عن علامات القيامة وقربها، وهناك أحاديث مشابهة تعزز هذا السياق، فقد ثبت في صحيح مسلم أن القسطنطينية ستفتح في آخر الزمان في زمن المهدي، فقد روى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْزِلَ الرُّومُ بِالْأَعْمَاقِ، أَوْ بَدَائِقِ، فَيَخْرُجُ إِلَيْهِمْ جَيْشٌ مِنَ الْمَدِينَةِ، مِنْ خِيَارِ أَهْلِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ، فَإِذَا تَصَافَوْا، قَالَتِ الرُّومُ: خَلَوْا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الَّذِينَ سَبَّوْنَا وَمَنَّا نَفَاتِلَهُمْ، فَيَقُولُ الْمُسْلِمُونَ: لا، وَاللَّهِ لا نَخْلِي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا، فَيُقَاتِلُونَهُمْ، فَيَنْهَرِمُ ثَلَاثٌ لا يَبُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَبَدًا، وَيُقْتَلُ ثُلُثُهُمْ، أَفْضَلُ الشَّهَادَةِ عِنْدَ اللَّهِ، وَيُعْتَبَرُ الثُّلُثُ، لا يُفْتَنُونَ أَبَدًا فَيَفْتَنِيحُونَ قَسْطِطِطِيَّةً، فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الْعَنَائِمَ، قَدْ عَلَفُوا سُيُوفَهُمْ بِالرَّيْتُونَ، إِذْ صَاحَ فِيهِمُ الشَّيْطَانُ: إِنَّ الْمَسِيحَ قَدْ خَلَقَكُمْ فِي أَهْلِيكُمْ، فَيَخْرُجُونَ، وَذَلِكَ باطلٌ، فإذا جَاؤُوا السَّامَ حَرَجَ، فَبَيْنَمَا هُمْ يُعَدُّونَ لِلْقِتَالِ، يُسَوُّونَ الصُّفُوفَ، إِذْ أَقْبَمَتِ الصَّلَاةُ، فَيَنْزِلُ عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَمَّهُمْ، فَإِذَا رَأَهُ عَدُوُّ اللَّهِ، ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ، فَلَوْ تَرَكَهُ لَأَذَابَ حَتَّى يَهْلِكَ، وَلَكِنْ يَقْتُلُهُ اللَّهُ بِيَدِهِ، فَيُرِيهِمْ دَمَهُ فِي حَرَبِيَّتِهِ".

لم يربط العلماء والمؤرخون محمد الفاتح بحديث الفتح... كما اتفق الرواة على أن المقصود بالفتح يكون في آخر الزمان.

2. كما يدل على ذلك قوله في حديث عمرو بن عوف رضي الله عنه: "ثم يخرج إليهم روقة المسلمين أهل الحجاز، الذين لا تأخذهم في الله لومة لائم، حتى يفتح الله عليهم قسطنطينية ورومية بالتسيح والتكبير"، فالفتح إذن لا يكون إلا مرة واحدة، ولا يكون إلا على أيدي العرب؛ لأنه مرتبط بالملحمة الكبرى قبل خروج المسيح الدجال.

3. أن العلماء والمؤرخين المعاصرين لمحمد الفاتح لم يربطوا بين الحديث السابق وفتح القسطنطينية، رغم أنهم أثنوا على محمد الفاتح، ومن هؤلاء العلماء السيوطي والسخاوي، لعلمهم بضعف الحديث أو ارتباطه بملاحم آخر الزمان.

(1) حمود التويجري، إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراف الساعة ط2 (الرياض: دار الصميعي، 1414هـ).

(2) محمد النيسابوري، المستدرک علی الصحیحین (مستدرک الحاكم)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1990).